وعلى هذه النقطة بالذات لنا ثلاث ملاحظات:

- **الأولى**: انه على من يريد التمثل بتراثه، ولا نقول التكلم باسمه، ان يكون وفيا لهذا التراث ككل، لا يميز بين صفحة وأخرى من صفحاته، ولا يؤثر حقبة على غيرها من حقباته، ولا يفضل قبيلة أو شعب على قبيلة اخرى أو شعب آخر ممن ساهموا في تراكمه وتواصله

لا نريد ولا نقبل بقراءة لتراث لبنان، مثل قراءة الصهاينة لتراث فلسطين فهؤلاء لا يرون منه الا الفصل العبري القصير ولا يرون من صناعة شعبنا غير اليهود، وهي قراءة عنصرية استعلائية تفرز بالضرورة موقفا سياسيا فاشيا يقوم على التمييز العنصري. ولذلك كان من الطبيعي أن يكون الرد الثوري الفلسطيني، من خلال قراءته وفهمه للتراث، مجسّدا بموقف سياسي ديمقراطي علماني لا يفرق بين مسيحي او مسلم او يهودي سواء بالنسبة للحقوق او الواجبات.

وما كنا لنسجل هذه الملاحظة، على قسوتها، لولا ما ورد في الوثيقة، في بنود أخرى، من توجهات دينية وطائفية، جعلت تسجيل هذه الملاحظة حتمي الضرورة.

- **الثانية**: انه على من يريد التحدث عن التراث، عائدا ستة آلاف سنة الى الوراء أن يعي الفوارق بين عالم اليوم وعالم الماضي، السحيق منه والقريب، حتى لا تختلط عليه الأمور، ولا يخلطها بالتالي على غيره ممن يحدثهم عن هذا التراث.

ان تاريخ هذه المنطقة من الوطن العربي، والتي عرفت عبر أسماء متعددة، وتشمل اليوم ما يعرف بسوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق، كان على الدوام تاريخا متشابكا ومشتركا، وكان سجلا لتفاعلات مستمرة بين سكان هذه المنطقة. ويستحيل على المؤرخ، مهما حاول، ان يمر بحقبة من حقبات هذا التاريخ ويجدها خالية من عملية التفاعل هذه. تلك حقيقة استمرت من التاريخ القديم، فالمتوسط حتى الحديث. والعبرة من هذه الحقيقة هي دحض هذا الوهم القائل بقدرة أي شعب من شعوب هذه المنطقة، أو أية قبيلة من قبائلها، أو أي طائفة من طوائفها، على «عزل» مسيرتها الحياتية عن المجرى العام لمسيرة المنطقة كلها. وكل أسوار العزلة التي قرأنا عنها في ديار هذه المنطقة لم تستطع، في النهاية، أن تصمد أمام رياح التغيير الثقافي والحضاري التي كانت تهب من المنطقة، ليعود التفاعل من جديد تأثرا بالوافد وتأثيرا فيه. والعبرة من هذه الحقيقة واضحة بينة.

حقيقة أخرى هامة تعلمناها من تراث هذه المنطقة، هي رفض سكانها المستمر والدائم لكل موجات الغزو الأجنبي الذي تعرضت له. كلنا يعلم أن موقع هذه المنطقة على خريطة العالم جعلها منذ القدم عرضة لأطماع الغير من الشرق والغرب على السواء. الفرس والرومان في قديم الزمان، مروراً بالتتار والمغول والفرنجة ثم الترك (وقصتهم مميزة وسنمر عليها في حينه) ثم الأوروبيّين، ممن غزوا وحكموا، كلهم في النهاية نزحوا ورحلوا ليبقى سكان هذه المنطقة في ديارهم يمارسون دورهم السرمدي في الدفاع عن حياتهم وأوطانهم. ونحن نحيا اليوم صراع أهلنا ضد آخر هذه الغزوات، الغزوة الصهيونية التي تنتظر نفس المصير. والعبرة من هذه الحقيقة واضحة بينة، كذلك.